استرداد الملامح الحضارية للدعوة الإسلامية عبر حقب التاريخ الإسلامي

أ.د. مها أسعد عبد الحميد طه

الجامعة العراقية/ كلية التربية للبنات

maha.hameed@aliraqia.edu.iq

ملخص البحث:

جعل الإسلام للأمة العربية الإسلامية عبر مراحل تطورها ملامح حضارية مميّزة غزَّزَ بوساطتها القيم والمبادئ الإنسانية السامية لترقية سلوكيات أبناءها ، من سماحة وخلق كريم وعدم الاعتداء على الجار والتسامح والسلام والتعايش السلمي والسعي نحو خَلْق مجتمع فاضل يؤمن بالإنسان وتطوره وإيمانه بالعمل الصالح حتى بنوا حضارة راقية لم نزل نفتخر بها الى يومنا هذا ، ولهذا انطلقت الحضارة العربية الإسلامية من أرض ثابتة منارها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، لذا من الواجب على أبنائها استرداد ماضيهم الثقافي التليد لتكونَ ركائز متينة تنطلق منها نهضتهم الحضارية المستقبلية المنشودة .

الكلمات المفتاحية : استرداد ، الملامح الحضارية ، حقب التاريخ الإسلامي .

The Recall of historical features of Islamic announcement during the Islamic history

Prof.dr. Maha Asaad Abdul Hamid Taha

University of Iraq/College of Education for Girls

In fact, Islam made several Islamic features for the Arab Islamic homeland during its stages of evolution like modifying the modern humanism principles in terms of its followers, the generous forgiveness, the avoidance of aggression towards the neighbors, the peace and peaceful coexistence, the aim of creating a modest community focusing on the evolution of human being, the belief of good deeds and building a prosperous civilization which we still be proud of it. Then, as a matter of duty fulfilling, the Islamic citizens should inspire, as an inspiring flashback, their flourished cultural integrity in order to be a powerful basis for the recall of future civilization renaissance. In accordance with what mentioned, the Arab Islamic civilization had come from a stable roots based on the holy Qura'n and the holy prophet's sunnah.

Key words: recall, the civilized features, the Islamic historical era, ..etc

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وآله وصحبه وسلم، وبعد...

فإني نظرت في مصوَّر الأرض أتَقرَّى ما انتشر الإسلام الحنيف في جوانب هذا الكوكب، فأحسست أول الأمر بالرضا والاطمئنان، فقد بَلَغَتْ رسالة الإسلام في نواحي هذه الأرض مبلغاً ترضى عنه النفس ويطمئن له القلب. ورأيت الإسلام منذ أكرَمَ الله تعالى الأرضَ به فاتحاً مظفّراً، يجد طريقه إلى القلوب، كما ينسابُ الماء الطيب في الأرض، فيحييها، فتخضرُّ وتُخرجُ ثمراً زكياً، لذا فكرتُ طويلاً في السبيل لخدمة الإسلام عقيدةً وفكراً رسالياً عظيماً.

الهدف من البحث :

هو استرداد ماضي أمتنا العربية الإسلامية الثقافي والحضاري المجيد من خلال البحث والتقصّي في الملامح الحضارية التي أشاعها الدعاة الى الله تعالى عبر حقب التاريخ الإسلامي .

مشكلة البحث :

إنَّ في كل حقبة من حقب التاريخ الإسلامي ملامح حضارية معينة في الدعوة الى الله تعالى .

حدود البحث :

أ / الحد المكاني : شبه الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر وإفريقية وجميع أصقاع العالم الإسلامي .

ب/ الحد الزماني : منذ فجر الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية سنة (656ه/ 1258م) .

هيكلية البحث :

سيُقسّم البحث على مبحثين اثنين سيكون أولاهما بعنوان (مفهوم الدعوة الإسلامية) بمطالب أربعة ، فيما سيكون المبحث الثاني بعنوان (الملامح الحضارية في الدعوة الى الله تعالى عبر حقب التاريخ الإسلامي) بمطالب أربعة أيضاً .

بعض المصادر والمراجع التي سيعتمدها البحث : سيعتمد هذا البحث في إعداده على الله سبحانه وتعالى وكتابه الجليل ، منارنا الخالد في الدارين ، أولاً ومن ثم على العديد من المصادر الأولية القديمة ومنها كتاب (السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن أيوب الحميري المعافري (ت218هـ/833م) . وكتاب (البداية والنهاية) لابن كثير، أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي (774هـ/1373م) . وكتاب (فتوح البلدان) للبلاذري، أبي الحسن محمد ن يحيى بن جابر(ت 279هـ/892م) وغيرها .

كما سيعتمد البحث في إعداده أيضا على مجموعة طيبة من المراجع الحديثة لأساتيذنا الأفاضل في التاريخ الإسلامي والعقيدة والتفسير والحديث والفكر الإسلامي ومنها كتاب (المدخل الى علم الدعوة) للبيانوني، الدكتور محمد أبو الفتح . وكتاب (التاريخ العربي الإسلامي) للدكتور محمد مفيد آل ياسين، والدكتور لبيد ابراهيم العبيدي، ووالدكتور صبري أحمد الغريري وآخرون . وكتاب (الخلافة العباسية/ بقسميه الأول والثاني) للدكتور فاروق فوزي عمر وغيرها من الكتب، وكانت جميعها مدادا لهذا البحث لا ينضب .

المبحث الأول : مفهوم الدعوة الإسلامية

- الدعوة في اللغة: وهي الطلب، يُقالك دعا بالشيء أي طلَبَ إحضاره، مثل الدعوة إلى الطعام[1] ، ودعا إلى الشيء: حثهَ على قصده مثل دعاه إلى الصلاة، ودعا إلى الدين: حثّه إلى اعتقاده، وساقه إليه[2] .
- والدعوة في المصطلح: يمكن اشتقاقه من معناه اللغوي السابق وهو الحث على الشيء والسوق إليه، فيتضمن إذن معنى الدعوة إلى الإسلام: طلب الناس وسَوقهم إليه، وحثهّم على الأخذ به، قال الله تعالى: چهو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبينچ سورة الجمعة / الآية 2.

فالدعوة إلى الإسلام تعني تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إيّاهم، وتطبيقه على واقع الحياة، وذلك لتشمل الدعوة الإسلامية مراحل الدعوة الثلاث (التبليغية والتكوينية والتنفيذية) من جهة ولكي يحتوي على عناصر عمل الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام- وعمل نبيّنا محمد –صلى الله عليه وسلم- خاصة من جهة أخرى.

مفهوم الداعية في اللغة والمصطلح:

الداعية لغةً: هو كل مَنْ حَمَلَ فكرة ودعا إليها – ونادى بها مطلقاً- أي: سواء كانت هذه الفكرة شراً او كانت هذه الفكرة خيراً.

الداعية اصطلاحاً: هو المسلم المكلّف شرعاً بالدعوة إلى الله تعالى[3] .

حاجتنا إلى الدعاة: إنَّ العالم الإسلامي اليوم يتعرض لهجوم شرس من كافة دول الإلحاد وجماعات الكفر وأرباب الزندقة، ويتعرض لعداوات من الداخل والخارج، من حروب صليبية ودعايات مغرضة، قال تعالى: چيريدون أنْ يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون چ سورة التوبة/ الآية32، وقد استعمل أولئك الملحدين شتى الطرق وأمكر الأساليب متوسلين بكل ما لديهم من أسلحة ومغريات، ولو أنَّ بعض هذه الحملات وبعض هذه الخطط وُجهت إلى غير الإسلام وإلى غير هذه الأُمة لانتهت من الدنيا، ولكنه الدين الذي تكفّل الله تعالى بحفظه، والأُمة التي رعاها سبحانه بعينه وحرسها بعنايته.

أن العالم اليوم، في جاهلية أعظم من الجاهلية التي كانت قبل الإسلام وسيظل العالم هكذا في ظلمات بعضها فوق بعض حتى يأخذوا بيد الإسلام ليأخذ الإسلام بأيديهم، فلا يجدون غير الإسلام ديناً، وسوف لا يجدون غير محمدٍ –صلى الله عليه وسلم- هادياً ورسولاً. وسوف لا يجدون غير القرآن منهجاً ودستوراً، ومن كل هذا برزت الحاجة إلى الدعاة المخلصين خلفاء الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم- لينيروا الأرض بالدعوة الحقة، دعوة الإسلام، كما أنارها أجدادهم الأوائل[4] .

[1] الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر ، مختار الصحاح، (الكويت، مطبعة دار السلام، 1402هـ/1982م) ، مادة دعا .

[2] لجنة من علماء اللغة العربية ، المعجم الوسيط، مراجعة: عبدالسلام هارون، ط2 (القاهرة، دار المعارف 1393هـ/1973م) ، مادة دعا، ج 1، ص286.

[3] الخطيب، محمد نمر (الشيخ) ، مرشد الدعاة، ط1 (بيروت، 1401هـ/1981م)، ص105

[4] ينظر الخطيب ، ص105 .

المكّلف في الدعوة إلى الله تعالى: أي المبلّغ للإسلام، والمُعلّم له، والساعي إلى تطبيقه؟ فإنّ المُكلّف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة بالغ وعاقل لأنّ الأمة الإسلامية مكوَّنةَ منهم قال تعالى: چ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكرچ سورة التوبة/ الآية 71 وبهذا فلا يختص علماء الدين بهذا الواجب فقط [1] ، لأنه واجب على الجميع ولكن علماء الدين – يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعاينة نظراً لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته، لذا فأمر الدعوة إلى الله تعالى واجب على كل مسلم ومسلمة، قال تعالى: چ قلْ هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومَنْ اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركينچ سورة يوسف/ الآية 108، وهم بدعوتهم إلى الله تعالى يجب أن يكونوا على علم ويقين اقتداءً برسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وإذا تخلَّفَ المسلم في الدعوة إلى الله تعالى دلّ تخلّفه هذا إلى وجود نقص أو خلل في إيمانه، ويجب تداركه في القيام بهذا الواجب[i] إذْ أنّ الدعوة إلى الله تعالى من صفات المؤمنين ومستلزمات الإيمان، قال الإمام ابن كثير في تفسير الآية الكريمة السابقة ((يقول الله تعالى إلى رسوله – صلى الله عليه وسلم- أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان، وهو وكل مَنْ اتبعّه يدعو إلى الله ما دعا إليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي))[2] ، وفي الحديث الشريف أن النبي –صلى الله عليه وسلم- قال (فاليبلّغِ العلْمَ الشاهدُ الغائبَ)[3] ويدخل في معنى الشاهد كل مسلم عَلِمَ من أمر الإسلام شيئاً.

المطلب الثاني :أهمية الدعوة وأمانتها:

والدعوة وأساليبها قد بينتّها آياتٌ كثيرة في القرآن الكريم، فهي في آيات قصص القرآن الكريم وفي سيرة الأنبياء–عليهم الصلاة والسلام- وما كان بينهم وبين أقوامهم، ولو دققنا النظر لوجدنا الآيات التي تتحدث بهما أكثر من آيات التشريع والأحكام فهذه الكثرة في عدد الآيات والتي تشير إلى الدعوة وأساليبها تدل دلالة قاطعة على أهمية المعرفة بأساليب الدعوة إلى الله تعالى ووجوب فهمها من قبل المسلمين، كما يجب عليهم فهم أمور العبادات التي تخصهم، كما نجد تكرار الكثير من مواقف الأنبياء –عليهم السلام- مع أقوامهم وذلك لأهمية المواقف وما يمكن أن يستنبط منها من دروس وعِبَر كما في قصة سيدنا موسى –عليه السلام- يقول الله تعالى في ذلك چلقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألبابچ سورة يوسف/ الآية 111.

وفضلاً عن أهمية الدعوة إلى الله تعالى فهي أمانة، نحن خلفاء فيها عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما ذكرنا سابقاً في قوله تعالى: چ قلْ هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة انا ومَنْ اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين چ سورة يوسف/ الآية 108، وهي أمانة ثقيلة قال تعالى: چإنّا سنلقي عليك قولاً ثقيلاچ سورة المزمل/ الآية 5، اشفقت منها السموات والأرض چإنّا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منهاچ سورة الأحزاب/الآية 72، ولكن حملها الأنسان، ولكن إذا حملناها ينبغي أن ننهض بها حتى لا نكون مَثَلاً

[1] زيدان، عبدالكريم (الدكتور)، أصول الدعوة، ط10 (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1426هـ/2005م) ، ص309-311؛ البيانوني، محمد ابو الفتح (الدكتور) ،المدخل إلى علم الدعوة، ط4 (دمشق، دار الرسالة العالمية، 1431هـ/2010م) ، ص40-41

[2] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ/1373م) ، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، 1389هـ/1969م) ، ج2، 495-496

[3] البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت256هـ / 870م) ، صحيح البخاري، (القاهرة، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، د. ت)، ج1، ص62-63

لقوم من قبل حُمِّلوها فلم يحملوها چ مثل الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً چ سورة الجمعة/ الآية 5، وحتى لا يتحقق فينا وعيد الله تعالى في خَلْقهِ چيا أيها الذين آمنوا مَنْ يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلةٍ على المؤمنين أعزةٍ على الكافرينچ سورة المائدة/ الآية 54.

المطلب الثالث: ضرورة وجود الجماعة الداعية إلى الخير:

قال تعالى: چ ولتكنْ منكم أمة يدعون الى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون چ سورة آل عمران/ الآية 104 ومن أعمال هذه الأُمة الأخذ على أيدي الظالمين، فإنَّ الظلم أقبح المنكر والظالم لا يكون إلاّ قوياً، ولذلك اشترط في الناهين عن المنكر أن يكونوا أُمّة ((أي جماعة كبيرة من الناس، وهم طائفة من العلماء والدعاة موظفة لمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللام في قوله تعالى (ولتكنْ) للأمر، والأمر يقتضي الوجوب))[1] ، فمنهج الله تعالى في الأرض فضلاً عن الوعظ والإرشاد والبيان فهو القيام بسلطة الأمر والنهي، على تحقيق المعروف ونفي المنكر من الحياة البشرية وصيانة تقاليد الجماعة الخيرّة من أنْ يُبعث فيها كل ذي هوى وكل ذي شهوة وكل ذي مصلحة، فمن الناس ظالمٌ يكره العدل، ومنهم منحرفٌ يكره الاستقامة ومنهم مَنْ ينكرون المعروف ويحبون المنكر ويسعون له، ولا تفلح الأُمة ولا تفلح البشرية إلاّ أنْ يسود الخير، وهذا ما يقتضي وجود سلطة للخير وللمعروف تأمر وتنهي وتُطاع، ((وإن قيام هذه الجماعة ضرورة من ضرورات المنهج الإلهي ذاته، فهذه الجماعة هي الوسط الذي يتنفس فيه المنهج ويتحقق في صورته الإلهية. هو الوسط الخيّر المتكافل المتعاون على دعوة الخير، المعروف فيه هو الخير والفضيلة والحق والعدل، والمنكر هو الشر والرذيلة والباطل والظلم... عمل الخير فيه أيسر من عمل الشر، والفضيلة فيه أقل تكاليف من الرذيلة. والحق فيه أقوى من الباطل، والعدل فيه أنفع من الظلم، فاعلُ الخير فيه يجد على الخير أعواناً. وصانعُ الشر فيه يجد مقاومة وخذلاناً))[2] .

المطلب الرابع : شروط وسمات الدعاة

1- القدرة: وتشمل البيان واللسان والشجاعة النفسية الأدبية إذْ كثير من الناس يعوزهم البيان وتنقصهم القدرة.
2- حُسْن الظن: أنْ يغلبَ على الداعية حُسْن الظن بجدوى الموعظة وفائدتها سواء كان ذلك لمَنْ يدعوه أو لغيره كسامع مثلاً.
3- على الداعية أنْ يعرفَ أنّ مهمته هي دعوة الناس وليس القضاء عليهم بالكفر أو الضلال.
4- إنْ لا يترتب على الأمر والنهي مفسدة أكبر مساوية أو فتنة أو فشو منكر.
5- أنْ لا يغلب على ظنه أنّ النهي يزيد فيما هو فيه من ضلال أو فساد، عناداً أو استكباراً.
6- العلم: أنْ يكون الداعية على قدر من العلم بالشيء الذي يأمر به أو ينهي عنه.
7- أنْ يكون المنكر الذي ينهي عنه مُجْمَعاً عليه .

[1] أمين، صادق (الدكتور)، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، (عمان، 1402هـ/1982م، لا. مطبعة) ، ص33-34 .

[2] قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط7 (بيروت، دار الشروق، 1983هـ/1978م) ،ج4، ص444

المبحث الثاني : الملامح الحضارية في الدعوة الإسلامية عبر حقب التاريخ الإسلامي

المطلب الأول : ملامح الدعوة الإسلامية في عهد الرسالة المحمدية:

أ- الملامح الحضارية للدعوة الإسلامية في العهد المكي:

- الاهتمام بتبليغ الدعوة إلى الله تعالى، ونشرها سراً وجهراً بدءً بالأقرب فالأقرب، إنقاذاً للناس من الضلالة إلى الهدى، وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور.
- الاهتمام بتربية مَنْ استجاب للدعوة الإسلامية، والعمل على تزكيتّهم وتربيّتهم على هدي الاسلام لبناء قاعدة اسلامية صلبة، وذلك عن طريق:-

أ. تعليهم دينهم.
ب. تطبيق مبادئ الإسلام سلوكاً في حياتهم
ج. تعميق معاني الأُخوّة فيما بينهم.
د. التواصي بالحق والتواصي بالصبر.

- الحرص على عدم المواجهة مع الأعداء بالقوة والاكتفاء بمواجهتهم بجهاد الدعوة بالحكمة البالغة، قال تعالى چ وجاهدهم به جهاداً كبيرا چ سورة الفرقان/ الآية 52، وذلك على الرغم من أذى الأعداء، واستفزازاتهم المتكررة للمؤمنين، وأمره تعالى لرسوله الكريم بالصبر والاحتمال، والإعراض عن الجاهلين المعاندين المكذبين بعد قيام الحجة عليهم، وترك المواجهة بالقوة إلى مرحلة مناسبة أخرى كما يذكر أستاذنا (لبيد العبيدي) إذْ يقول بأنَّ مقومات المواجهة لدى المسلمين في الحقبة المكية هو ((الصبر على الابتلاء))[1]
- الحركة بالدعوة وعدم الجمود بها على مكان نشأتها فقط، فقد توجّه –صلى الله عليه وسلم- وصحابته نحو الحبشة والطائف فالمدينة المنورة عندما استعصت عليه مكة المكرمة فقد تألّب الملأ من قريش على رسول الله –صلى الله عليه وسلم- وأصحابه واجتماعهم بعمّه (أبي طالب) القائم في منعه ونُصرته وحرصهم عليه أن يسلّمه إليهم فأبى عليهم ذلك بحول الله تعالى وقوته اضافةً لإيذائهم للمسلمين المستضعفين فهنا أوحى الله تعالى لنبيّه الأكرم بعدم ملاءمة مكة المكرمة أن تكون مركزاً لانطلاقه الدعوة الإسلامية الفتية[2] .
- استمرار العمل والتخطيط لمستقبل الدعوة الإسلامية ما يعطيها استمراريتها وديمومتها، كما فعل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حين أرسل الرسل إلى المدينة المنورة، وأخذ البيعة من أهل العقبة، وأمر بالهجرة إلى الحبشة فالمدينة المنورة وخطط لذلك، ثم نفّذ كل هذا تنفيذاً دقيقاًن وذلك أخذاً بالأسباب وفي موازنة سليمة بين الأخذ لها وبين الاتكال على الله تعالى وحده [3].

[1] العبيدي، التاريخ العربي الإسلامي، بدء الدعوة ومراحلها، (بغداد، د. مطبعة، 1988م، ص 42-43
[2] ابن هشام، عبدالملك بن أيوب الحميري المعافري (ت218هـ/833م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي ط2 (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، 1375هـ/1955م) ، ق1، ج1، ص39، 41 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة جديدة ومنقحة، (بيروت، مؤسسة المعارف، دار ابن الحزم، 1430هـ/2009م)، ج1، ص496؛ العبيدي، التاريخ الإسلامي، ص39، 41 .
[3] ينظر المصادر والمراجع السابقة .

ب الملامح الحضارية للدعوة الإسلامية في العهد المدني:

- الاهتمام بعملية التبليغ للدعوة الإسلامية، والتربية والتزكية للمستجيبين لها، وذلك عن طريق تلاوة آيات القرآن الكريم على الناس، وتعليمهم الكتاب والحكمة، والاهتمام ببناء المساجد وإعمارها، وعقد الأُخوة الخالصة بين المهاجرين والأنصار وتوثيق الصلات بينهم.
- الحرص على إقامة الدولة المسلمة عند اكتمال أركانها الثلاثة هي:

أ. القاعدة الصلبة من المؤمنين.
ب. الأرض الملائمة.
ج. النظام الواضح.

ذلك لأن تلك الأركان لإقامة الدولة الاسلامية هي أكبر دعامة لوحدتها وديمومتها، قال تعالى: چ الذين إن مكّناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمورچ سورة الحج/ الآية 41.

- الاهتمام بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على جميع المستويات الفردية والجماعية، من إقامة الشعائر الإسلامية وتنفيذ الحدود، والفصل بين الخصومات إقامةً لحكم الله تعالى في الأرض من جهة، وتقديماً للنموذج الإسلامي الكامل الصالح للعالمين في كل زمان ومكان، من جهةٍ أخرى.
- مهادنة الأعداء المهادنين والمجاورين، ومعايشتهم في ضوء نظام واضح يضبط العلاقات، ويطلعهم على محاسن الحياة الاسلامية ويعكس لهم الصورة الصحيحة المشرقة من جهة، ويُدعم استقرار الدولة المسلمة في نشأتها من جهة أخرى.
- مجابهة الأعداء المحاربين، وإرهاب المتربصين في الداخل والخارج عن طريق السرايا والغزوات، والإعداد المتواصل لذلك، قال تعالى: چ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهمچ سورة الأنفال/ الآية 60. تحقيق عالمية الدعوة الاسلامية عن طريق الانطلاق بها في أكثر من اتجاه، وعلى أكثر من صعيد، عن طريق كتابة الرسائل وإرسال الرسل، وبعث البعوث، واستقبال الوفود، وما إلى ذلك [1](لذا نستطيع أنْ نستخلص من كل ذلك، انّ العمل المعجز الذي قام به رسول الله –صلى الله عليه وسلم- أنّه كوّن من عرب شبه الجزيرة جيلاً يفقه الرسالة الاسلامية، ويحيا بها، ويموت من أجلها – بعد أنْ كانت تسودهم العصبية القبلية وما يتخللها من نظم وأعراف- وينطلق هذا الجيل الاسلامي الفتي مجاهداً في سبيل نشر دعوته الإسلامية التي آمن بها إلى الآفاق، ولمّا انتقل رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إلى الرفيق الأعلى انطلقوا وحدهم بحمل هذه الرسالة وكأنه معهم، لقد لحق النبي (صلى الله عليه وسلم) بالرفيق الأعلى والاسلام لم يتخط حدود شبه الجزيرة العربية، بيد أنَّ الرجال السابقون الأولون والتابعون لهم بإحسان والذين يعرفون عالمية الدعوة الاسلامية شرّقوا بها وغرّبوا [2] .

[1] ابن هشام ،السيرة، ج 4، ص 205 وما بعدها ؛ وينظر: حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ط4 مزيدة ومنقحة (بيروت، دار النفائس، 1403هـ /1983م) .

[2] الغزالي، محمد، الدعوة الإسلامية، (تستقبل قرنها الخامس عشر)، ط2 (سوريا، دمشق، دار القلم، 1426هـ/2005م)، ص25،12،11، ط8 (القاهرة، مكتبة وهبة، 1405هـ/1985م) ؛ مؤنس، حسين (الدكتور)،

المطلب الثاني : الملامح الحضارية للدعوة الإسلامية زمن الخلفاء الراشدين –رضوان الله تعالى عنهم-

امتدت الخلافة الراشدة ثلاثين عاماً بعد وفاته – صلى الله عليه وسلم- فكان سير الدعوة الاسلامية في هذه الفترة المباركة امتداداً لما رسمه لها رسول الرحمة المهداة محمد –عليه أتم الصلاة وأفضل التسليم- فقد استمرت حركة الدعوة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين المهديين تبليغاً للإسلام وتعليماً له وتطبيقاً لأحكامه في حياة المسلمين حتى توسعت دائرة انتشار الإسلام توسعاً كبيراً وامتدت رقعة الدولة الاسلامية امتداداً كبيراً، وقد رافق هذا الامتداد الجغرافي للدولة العربية الاسلامية امتداداً للفكر الإسلامي، وللدعوة الاسلامية، فدخل معظم أصحاب هذه البلاد المفتوحة في الإسلام ورأوا فيه خير منقذ لهم ممّا هم فيه من الضلالة والتخبّط، وأفضل مُصلح لأحوالهم، واجتهد المسلمون في هذه المرحلة في الحفاظ على وحدتهم الثقافية والروحية والتي كانت دعامةً قوية لهذه الفتوحات وكان من أبرز جهودهم الفكرية والدعوية في هذه المرحلة:-

1- حفاظهم على القرآن الكريم وجمعه أولاً في عهد الخليفة أبي بكر –رضي الله عنه- وتوحيد المصاحف ثانياً في عهد الخليفة عثمان بن عفان –رضي الله عنه-.
2- حرصهم على نشر العلم بين المسلمين، ومحاربتهم الجهل بالإسلام، فقد نهل المسلمون الجدد من الصحابة الكرام الذين انتشروا في بقاع الارض ولاسيّما في عهد الخليفة عثمان –رضي الله عنه- تعاليم دينهم بعد أنْ توسّعت الرقعة الإسلامية في عهده توسعاً كبيراً، فانكب المسلمون في الأمصار والبقاع المفتوحة على حفظ كتاب ربهم – سبحانه وتعالى- وسنّة نبيّهم – صلى الله عليه وسلم- وكانت هذه الفترة من تاريخ الدعوة الإسلامية من أهم الفترات بعد عهد رسول الله –صلى الله عليه وسلم- إذْ كانت حلقة الوصل بينه وبين العهود الاسلامية التالية.
3- بلورة منهج راشدي للتعامل مع المُستجدات والمستحدثات بعد عهد النبي –صلى الله عليه وسلم- كما يُفهم ذلك من أحاديث جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه- وعهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه-
4- تأسيس المؤسسات والقواعد الأساسية في إدارة الدولة، وقد شهد عهد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- [1]

المطلب الثالث : الملامح الحضارية في الدعوة الإسلامية في العهد الأُموي:

بدأ العهد الأُموي بعد عام (40هـ/660م) بخلافة معاوية بن أبي سفيان وانتهى بنهاية ولاية مروان بن محمد وقتله سنة (132هـ/749م) تابعت الدولة الأموية في هذه الفترة امتدادها الجغرافي والفكري على السواء ((فكان الجنود المسلمون يفتحون كل يوم أرضاً جديدةً فيعقبهم العلماء بالفقه والتشريع والحديث والتفسير، يشرحون الإسلام، ويعلّمون الناس قضاياه، وقد تفرق هؤلاء في جميع أنحاء المملكة الإسلامية، فهذا يرحل إلى مصر، وذاك إلى الكوفة، وثالث إلى الشام، ورابع إلى أفريقية،... وهكذا. فنتج عن ذلك حركة علمية في كل بلد نزلوا فيه، وتكوّنت مدارس العلم وحلقاته في كل مكان حتى أحدث ذلك حركة علمية سيطرت على الساحة الإسلامية كلها، وربطت

الاسلام الفاتح، ط1 (القاهرة، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، 1408هـ/1987م)، ص11؛ العبيدي، التاريخ العربي، بحث عصر الرسالة ص45 وما بعدها .

[1] البيانوني، المدخل الى الدعوة ، ص 94-95 ؛ الغريري وآخرون، التاريخ العربي الاسلامي، ط1 (بغداد شركة الوفاق، 1419هـ/1998م)، التاريخ الإسلامي، ص73.

بين أبناء الحضارة الاسلامية برباط واحد، ولقد نجح الإسلام في إذابة النعرات الجنسية والفوارق بين الأجناس، وفي إنشاء كيان موحّد تنمحي فيه الثارات وتقدِّم المسلمون عرباً وعجماً يخدمون دعوتهم ويبنون دولتهم، وأصبح الموالي في البلاد المفتوحة يضارعون العرب الأقحاح ويبرزونهم في التفوّق العلمي)) [1].

ولم يخلُ الأمر من أُناسٍ حنقوا على الإسلام، وتآمروا عليه، لأنه أزال ملكهم، وقوّضَ دولتهم، الأمر الذي ولّد في التاريخ الإسلامي ما يُسمي بـ(الشعوبية) التي أساءت إلى الوحدة الاسلامية، كما نشأت بعض الفرق الضالّة في العصر الأُموي كالقدرية والمرجئة وغيرها وتصدّى لها علماء المسلمين ، ولم تكن الدعوة الإسلامية في هذا العصر محصورةً بأُناس معيّنين ولا دعاة مخصوصين، وإنما كان كل فرد في الأُمة تقريباً يشعر بواجب الدعوة عليه، فيعمل على نشر الإسلام وتمكينه في الأرض.

وانتشرت في الأُمة الإسلامية وقتذاك حركات العلم والتعليم، وأقبل الناس على العلماء والقُصّاص والوعّاظ، واشتهر من المحدّثين والعلماء كثير أمثال الصحابي أبي هريرة الدوسي –رضي الله عنه- (ت59هـ) والحسن البصري -رضي الله عنه-وعبدالله بن عباس بن عبدالمطلب –رضي الله عنه- المتوفى سنة (68هـ) ابن عم رسول الله –صلى الله عليه وسلم- حَبْر الأمة وترجمان القرآن الكريم وعبدالله بن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه- المتوفى سنة 73هـ (المحدّث المشهور) وأنس ابن مالك (ت92هـ) خادم رسول الله والمحدث المشهور وسعيد بن جبير (ت94هـ) وسعيد بن المسيب (ت94هـ) -رحمهما الله تعالى- المحدثين الشهيرين، ومحمد بن مسلم الزهري (ت124هـ) المحدث والمؤرخ المشهور، وغيره من كبار التابعين، كما اشتهر من القصاص والوعّاظ أمثال: عبيد بن عمرو الليثي، ومسلم بن جندب الهذلي وسليم بن عتر التُجيبي وكان الوعظ والقصص على مستوى عالٍ من العلم والانضباط ثم ضعف أمره وتصدّى له الجهلة.

كما نشطت الحركةُ العلمية اللغوية في العصر الأُموي حفاظاً على لغة القرآن الكريم من التأثر باللغات الأخرى، وانتشار اللحن بسبب الخلطة بالعجم وكان من أبرز هذه الأنشطة وضع (أبي الأسود الدؤلي) (ت269هـ) رحمه الله تعالى لحركات وسكنات المصحف الشريف.كما عظمت في هذا العهد العناية بالحديث النبوي الشريف، روايةً ودراسة وجمعاً وتدويناً، ورحلةً في طلبه، حتى حفظ المسلمون بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقد امتدت الدعوة الإسلامية في هذا العهد مع الامتداد الجغرافي للدولة الأُموية وتوّسع الفتوحات الإسلامية في ثلاثة ميادين:

1. في آسيا الصغرى وبلاد الروم.
2. في شماليّ أفريقيا والأندلس.
3. في السند وما وراء النهر أو ما بين النهرين (سيحون وجيحون)[2] .

المطلب الرابع : الملامح الحضارية للدعوة الإسلامية في العهد العباسي:

كانت الدعوة الإسلامية قويةً في العصر العباسي الأول ثم ضعفت بضعف الخلافة العباسية في العصر العباسي الثاني، إلاّ انّ هذا الضعف على المستوى الرسمي لم يؤثر كثيراً على الدعوة

[1] البيانوني، المدخل الى الدعوة، ص 97

[2] البلاذري، أبو الحسن محمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/ 892م) ، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان (بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م)، ص411 ؛ عبد المنعم وآخرون، التاريخ الإسلامي، ص 103 .

الإسلامية على المستوى الشعبي، إذْ قام العلماء والدعاة بواجبهم فلم تنقطع حلقات العلم والتعليم والوعظ، ولم تتوقف حركة الرواية والتصنيف... وكان إقبال الناس على العلماء كبيراً، حيث قيّضَ الله تعالى لهم في هذا العهد الكثيرون أمثال أئمة المذاهب الإسلامية الأربعة، وابن المبارك وسفيان الثوري –رحمهم الله تعالى- وغيرهم كثيرون ممّن نشطت على أيديهم حركة الفقه والاستنباط التي استوعبت حياة المسلمين ومتطلبات عصرهم المتطورة، فضلاً عن العلماء الذين برعوا وصنّفوا في الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية العطرة والتاريخ واللغة أمثال البخاري (ت256هـ) والجاحظ (ت255هـ) ومسلم (ت261هـ) والبلاذري (ت279هـ) واليعقوبي (ت292هـ) والمسعودي (ت346هـ) والطبري (310هـ) والفراهيدي (175هـ) والزجاج (ت311هـ) صاحب (معاني القرآن)، وسيبويه (ت180هـ) النحوي المشهور وغيرهم –رحمهم الله تعالى- [1] .

وزخرت مساجد بغداد والكوفة والبصرة بكثير من العلماء والوّعاظ والزّهاد الذين كان لهم أكبر الأثر في إشاعة العلم الإيمان، والوقوف أمام التيار الجارف من المجون والترف الذي دخل حياة المسلمين.

أما الامتداد الجغرافي للأُمة الإسلامية في العهد العباسي فقد كاد أنْ يتوقف لما انتاب الجبهة الداخلية في العصر العباسي الثاني من تفسّخ وتمزّق، ممّا صرف الخلفاء العباسيين عن متابعة الفتوحات. فقد اهتم الخلفاء في العصر العباسي الأول بمهمة الاحتفاظ بالرقعة الاسلامية الكبرى التي وصل إليها الإسلام، وبتأمين الحدود، وصد الغارات عليها، فأقاموا حملات منظمّة في الصيف والشتاء على حدود الدولة إظهاراً للقوة وإرهاباً للعدو عُرِفت بنظام (الصوائف والشواتي)، ويمثّل عهد (المنصور والمهدي والرشيد والمأمون والمعتصم) من خلفاء العصر العباسي الأول، عهد القوة والظهور [2] ، كما يمثل عهد من بعدهم في العصر العباسي الثاني عهد الضعف والاسترخاء إذْ عمَّ البذخ والترف على المستوى الرسمي[3]، على حين كان من فضل الله تعالى على هذه الأمة أنْ بقيت الدعوة الإسلامية في هذا العهد قويةً نشطة في الجانب العلمي والفكري فانطلق الدعاة والعلماء في مهمتهم، حتى أسلم في العصر العباسي الثاني ثلث الهند وجمهور كبير من أهل الصين أبان الامارات التي تعاقبت في خراسان وبلاد ما وراء النهر والسند والبنجاب أمثال الدولتين السامانية والغزيوية[4] .

المصادر :

1- الرازي، محمد بن ابي بكر بن عبدالقادر ، مختار الصحاح، (الكويت، مطبعة دار السلام، 1402هـ/1982م).
2- لجنة من علماء اللغة العربية ، المعجم الوسيط، مراجعة: عبدالسلام هارون، ط2 (القاهرة، دار المعارف 1393هـ/1973م) ، مادة دعا، ج 1.
3- الخطيب، محمد نمر (الشيخ) ، مرشد الدعاة، ط1 (بيروت، 1401هـ/1981م).

[1] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1071م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام (القاهرة، مطبعة السعادة، 1439هـ/ 1931م) ، ج10، ص 156؛ البيانوني، ج2، ص 102؛ آل ياسين وآخرون، التاريخ العربيي الإسلامي، ص139 (العباسيون) .

[2] للتوسع : فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار)، ط2 (عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1424هـ-2003م) ؛ الدوري، عبدالعزيز، العصر العباسي الأول، ط3 (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1418هـ/1988م) .

[3] الغريري وآخرون، التاريخ الإسلامي، ص 218، 219

[4] البيانوني، ج 2، ص 151 ؛ فوزي، الخلافة العباسية في عصر السقوط والانهيار، 2003م، الجزء الثاني .

4- زيدان، عبدالكريم (الدكتور)، أصول الدعوة، ط10 (بيروت، مؤسسة الرسالة، 1426هـ/2005م)
5- البيانوني، محمد ابو الفتح (الدكتور) ،المدخل إلى علم الدعوة، ط4 (دمشق، دار الرسالة العالمية، 1431هـ/2010م) .
6- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ/1373م) ، تفسير القرآن العظيم، بيروت، دار المعرفة، 1389هـ/1969م) ، ج2.
7- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي (ت256هـ / 870م) ، صحيح البخاري، (القاهرة، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده، د. ت)، ج1.
8- أمين، صادق (الدكتور)، الدعوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية، (عمان، 1402هـ/1982م، لا. مطبعة).
9- قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط7 (بيروت، دار الشروق، 1983هـ/1978م) ،ج4.
10- العبيدي، التاريخ العربي الإسلامي، بدء الدعوة ومراحلها، (بغداد، د. مطبعة، 1988.
11- ابن هشام، عبدالملك بن أيوب الحميري المعافري (ت218هـ/833م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الابياري وعبدالحفيظ شلبي ط2 (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، 1375هـ/1955م) ، ق1، ج1.
12- ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة جديدة ومنقحة، (بيروت، مؤسسة المعارف، دار ابن الحزم، 1430هـ/2009م)، ج1.
13- حميد الله، محمد، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ط4 مزيدة ومنقحة (بيروت، دار النفائس، 1403هـ /1983م) .
14- الغزالي، محمد، الدعوة الإسلامية، (تستقبل قرنها الخامس عشر)، ط2 (سوريا، دمشق، دار القلم، 1426هـ/2005م)، ط8 (القاهرة، مكتبة وهبة، 1405هـ/1985م) .
15- مؤنس، حسين (الدكتور)، الاسلام الفاتح، ط1 (القاهرة، مطبعة الزهراء للإعلام العربي، 1408هـ/1987م) .
16- البيانوني، المدخل الى الدعوة ، ص 94-95 ؛ الغريري وآخرون، التاريخ العربي الاسلامي، ط1 (بغداد شركة الوفاق، 1419هـ/1998م)، التاريخ الإسلامي.
17- البلاذري، أبو الحسن محمد بن يحيى بن جابر (ت279هـ/ 892م) ، فتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان (بيروت، دار الكتب العلمية، 1403هـ/1983م) ؛ عبد المنعم وآخرون، التاريخ الإسلامي.
18- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ/1071م)، تاريخ بغداد أو مدينة السلام (القاهرة، مطبعة السعادة، 1439هـ/ 1931م) ، ج10.
19- فوزي، فاروق عمر، الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار)، ط2 (عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 1424هـ-2003م) ؛ الدوري، عبدالعزيز، العصر العباسي الأول، ط3 (بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 1418هـ/1988م) .
20- البيانوني، ج 2، ص 151 ؛ فوزي، الخلافة العباسية في عصر السقوط والانهيار، 2003م، الجزء الثاني .